نزهة الفضلاء

تهذيب سير أعلام النبلاء

للإمام

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

إعداد

الدكتور محمد موسى الشريف

مؤسسة أم القرى

للترجمة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله موفِّقِ من شاء إلى ما شاء، هدى عبادَه إلى طريق الرّشادِ واستعملهم كيف شاء، سبحانه من ربٍّ حكيمٍ عليمٍ قادرٍ على كلّ ما يشاء. الحمد لله الذي جعل في التاريخ عبراً للمعتبرين، وفي أحداثه وقَصَصِه وعظاتِه مناراً للسّالكين، وفي تقلّباته بأهل الدّنيا علَماً على فناء العالَمين؛ ودليلاً على هوان الدّنيا وخسرانِ العاملين إلّا الصّالحين. وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ الأمين؛ الّذي أرشدنا إلى ما فيه خير الدّنيا والدّين، وعلى أصحابه الأماجد الطيّبين؛ الّذين غيّروا التاريخَ وأدهشوا المؤرّخين، وعلى أتباعهم الكرام ومن تبعهم إلى يوم الدّين، وبعد: فالتّاريخ علم عظيم نافع، أحداثه تُورِث العِبرة، ومآسيه تُوجِب العَبْرة، فحقٌّ على أهل هذه الصّحوةِ الإسلاميّةِ المباركة أن ينتفعوا به ويولوه اهتمامهم، ويستخرجوا منه ما يصحّح حاضرَهم ويقوّم مسيرتَهم ويصقل آراءَهم.

نبذة عن كتاب «السِّيَرِ» وسبب اهتمامي به

كتاب «السِّيَرِ» كتاب حافل، جامع لفنون شتّى وأخبارٍ كثيرة؛ لا تقتصر على عصر دون عصرٍ، ولا مِصرٍ دون مصر، بل تشمل صدرَ الإسلامِ حتّى نهاية القرنِ السابعِ تقريباً، وقد أتت هذه الأخبارُ على غالب الأمصارِ الإسلاميّة.

المؤرّخ يرى فيه بُغيتَه، والنّاظر في أخبار الرجال جرحاً وتعديلاً يجد فيه مطلبَه، والباحث عن همم الرجالِ في الدّعوة والعبادةِ يرى فيه من بلغوا في هذا المضمار ذروته.

فيه أخبارٌ من تاريخنا المشرق وضيئات، وعلامات على الطّريق هاديات، وعِبرٌ كثيرات.

وفيه أخبارٌ عن رجال هذه الأمّةِ العظام، وشذراتٌ من أحوالهم وعباداتهم يحتاجها من يريد رسمَ صورةٍ يعيش عليها رجالُ الإسلامِ في عصرنا الحاضر

ومستقبلِنا المشرق، إن شاء الله.

وفيه تذكيرٌ بعاقبة من ظلم وبغي وطغىٰ، وبمن ابتدع وفسق وعصىٰ، لعلّ أبناء زماننا يحذرون هذا المسلكَ الرّديء. وفيه قصصٌ جميلة ونوادر لطيفة يكون فيها بعضُ العِوَضِ عن غثاء الأسواق، وقذارات الفسّاقِ الّذين شغلوا النّاشئة بالمجلّات والقصصِ المـاجنـة. وفيه جملةٌ عظيمـة من قواعـد الـدّينِ من توحيد وسلوكٍ ومعاملاتٍ تقرّ بها أعينُ المؤمنين، وقد أورد الذّهبيُّ كلَّ هذا في ثنايا أخبارِ المترجَمِ لهم.

وكتاب «السِّيَر» ـ والحال ما و صفتُ ـ كتابٌ ضخم كبير، لا يستطيع جلُّ أبناءِ هذا الزّمانِ قراءتَه واستيعابَ ما فيه من النّفائس، كما أنّ فيه قدراً ضخماً من مادّة الجـرحِ والتّعديل، وفيه عدد ضخم من الأحاديث والآثار، ويكاد يحصر مشايخ المتـرجَمِ له وتـلاميذَه، وفيه آلاف التّراجم التي يقتصـر نفعهـا علىٰ فئـة من المتخصّصين في العلوم الشّـرعيّة، وفي الكتاب أسانيدُ طويلة، وقصص وأخبار بعضهـا ضعيف أو مكرّر، وغير ذلك من الصّوارف عن هذا الكنز الثّمين والعَقدِ الفّريد، فقمت بتهذيب الكتابِ بعد قراءتِه حتّى يتيسّرَ لكثير من النّاس الوقوف علىٰ ما فيه من الفوائد التي هي مراد المصلحين، ووسيلة المربّين، وأرجو من الله العليّ القدير أن أكونَ قد وفّقت في هذا العمل وسدّدت.

سبب اختياري هذا الكتاب

قد بيّنت ممّـا سبق أسبـاباً لاختياري هذا السِّفْرَ الماجد، ولكن هناك أسبابٌ أخرى مهمّة، منها:

(١) الإنصاف العظيم الّذي يتمتّع به مؤلّف الكتاب ـ رحمه الله ـ فهو لا يكتفي بسرد تاريخِ المترجَمِ له دون التّعليقِ ـ غالباً ـ على ما يراه ضرورياً لإنصافه؛ وذلك نحو الحكم على حكاية ألصقت به وهي غاضّة من شأنه أو ذكرِ مبرّرٍ لعمل ظنّه النّاسُ سيّئاً وهو يحتمل أوجهاً أخرى، أو نقدٍ لتصرّفاته نقداً شرعيّاً، ثم يحاول أن يخرجَ بحكم عامٍّ على المترجَمِ له مقرونٍ بالإنصاف.

وهذا العملِ ـ أي الإنصاف في الحكم على الأشخاص ـ يعطي ضوءاً كاشفاً

تستطيع أن تستفيدَ منه الصّحوةُ المباركة، فهي صحوة توشك أن تعطيَ ثمارَها لولا ما يكدّرها من تصرّفات بعضِ ذوي النّظراتِ القاتمةِ الذين يرمون العلماءَ والدّعاةَ بالفسق والابتداع والميلِ عن مذهب السّلف لأيِّ زلّة، لا يعذرون أحداً، ولا يتّقون الله في ظنٍّ مرجوح.

وهناك بعضٌ آخرُ لا يستطيع العيشَ إلّا بالطّعن على المخالِف، ونسيانِ محاسنِه وكتمانِها، فهؤلاء وأمثالهم تكفّل الإمام الذّهبيُّ بالرّد عليهم ممّا ستجده في ثنايا الكتاب واضحاً ـ إن شاء الله تعالى.

(٢) ثراء المادّةِ النّقديّة في الكتاب؛ فالذّهبيُّ ـ رحمه الله ـ لا يدع أحداثَ التاريخِ تمرّ دون نقدٍ ـ غالباً ـ لِما يحتاج النّقد والتّبيين فتراه يضعِّف حادثةً منكورة، أو يصحِّح وهماً أو مبالغةً وقع فيها ناقل، أو يبيّن رأيَه في أمر يحتاج إلى فصل وتبيين . . إلخ، وهذه المادّة النّقديةُ تفتقدها كثيرٌ من كتب التأريخِ والتراجم، والنّقد البنّاء يفيد في تصحيح أحداث التاريخ وإيرادِها مورداً سليماً بعيداً عن المبالغة والغلوِّ والضّعف.

(٣) شمول هذا الكتاب واحتواؤه ما لم يَحْوِهِ كثيرٌ من أمثاله؛ إذ أنّه يجمع بين التأريخ والتّراجم الموسّعة، فكتاب «البداية والنّهاية» ـ مثلاً ـ نجد فيه أخباراً تاريخيّةً جمّة، ولكنّا لا نجد فيه تراجمَ موسّعةً للعلماء والأخيارِ والأمراءِ والأشقياءِ وغيرِهم، ومثله «كامل» ابن الأثير، و «تاريخ الأمم والملوك» للطّبريّ، وهناك كتب تحوي تراجمَ موسّعةً ـ نوعاً ما ـ ولكنّا لا نجد فيها أخباراً تاريخيّة مسلسلةً على نهج متّسقٍ، وذلك نحو: «حِلْيَةَ الأولياء» و «الطّبقات» لابن سعد، و «وفيات الأعيان» ونحو ذلك من كتب التراجمِ الكثيرة.

وأمّا هذا الكتاب ففيه قدر عظيم من التّراجم الموسّعة مع قدر طيّبٍ من التأريخ المنهجيِّ المتسلسلِ المبثوثِ في ثنايا التّراجم، وخاصة تراجم الخلفاءِ والملوكِ والأمراءِ.

(٤) كتاب «السِّيَر» يستوعب معظمَ من نَبُل في أعين النّاسِ ـ غالبِهم أو بعضِهم وإن كان ساقطاً في الميزان الشّرعيّ ـ فهو لا يختصّ بأهل مذهبٍ فقهيٍّ معيّن، ولا

بالخلفاء والملوك والأمراءِ، ولا بالشّعراء والنحويّين وأهل الأدب، ولا بالأبطال والشجعان وقادة المعارك، ولا بالأطباء والحكماء والفلاسفة، ولا بأهل صنعة أو أهل نِحلة، بل هو يشمل جميع الأصناف المذكورة، ويكاد يستوعب أخبارَ أمصارِ الإسلامِ.

صحيحٌ أنّه قد غلبت تراجمُ المحدّثين على غيرهم، وهذا بسبب اعتناء الذّهبيِّ القويِّ بالحديث فهو الحافظ الماهر فيه، ولكنّ كثيراً من محدّثي القرونِ الأولى الفاضلةِ ومن تلاهم كانوا فقهاءَ ومفسّرين وغزاةً في سبيل الله، وأدباءَ ونحويّين، وغير ذلك ممّا اشتهروا به، رحمهم الله.

«منهج التّهذيب»

(١) حذفت عدداً كبيراً جدّاً من التّراجم التي يقتصر نفعها ـ في نظري ـ علىٰ فئة من المتخصّصين، وما أبقيت ـ حسب اجتهادي القاصر ـ إلّا التّراجمَ التي فيها فائدة لعموم القراء. وقد بلغ عدد تراجم هذا التّهذيب ثلاث وتسعون وتسعمائة ترجمة من أصل خمسة آلاف وتسعمائة وخمس وعشرين ترجمة.

(٢) حذفت الأخبار المكرّرة واخترت أحسنها ـ كما أحسب ـ وحذفت الأخبار التي لا طائل من ذكرها، ويمكن الرّجوع إليها في مظانّها من الأصل.

(٣) حذفت الأحاديثَ التي رواها الذهبيّ من طريق المترجَم له بعلوّ.

(٤) اخترت من الهوامش التي في الأصل ما يخدم غرض التّهذيب الذي وضع لتقريب الكتاب إلى قارئه حتى يستمتعَ به دون صارفٍ يصرفه أو قاطع يقطعه، وتصرّفت فيما أثبتّه تصرّفاً لا يُخِلّ ـ إن شاء الله ـ ولم أثبت شيئاً من عندي إلّا في مواضع معدودة تحتاج البيان.

(٥) وضعت علاماتٍ للضّبط والشكل تكملةً لما وضعه المحقّقون حتى يستطيع القارئُ المعاصر القراءةَ على وجه صحيح.

(٦) حذفت من الأسانيد كلَّ ما يمكن حذفه، وما أبقيت إلّا ما تدعو الحاجةُ إليه.

(٧) لم أذكر تخريج المحققين للأحاديث والآثار والأقوال إلّا لِماما، وعند مواضعَ تدعو الحاجةُ فيها لذكر هذا التخريج، وهذا لسببين:

(١) المحقّقون الكرام توسّعوا في التخريج توسّعاً كبيراً يشكرون عليه، ولكنّ إيرادَه يخالف هدفَ هذا المختصر.

(٢) التخريج لا يهتمّ به كثير من العامّة، ومن يريده يستطيع الرجوع إلى الأصل، فهو متوفّر والحمد لله، ولا يستغني عنه طالب العلم. وقد استعضت عن ذكر التخريجِ بإبقاء الأحاديثِ والآثارِ والأخبارِ الدّاخلةِ في دائرة الاحتجاج، وأخرجت ـ كما أظنّ ـ من هذا التَّهذيب الموضوعَ والواهيَ وكلَّ ما لا يحتجّ به، وذلك استناداً لتوهين الذهبيِّ أو المحققين لها، واستثنيت ما يلي:

أـ ما تدعو الحاجة إليه لوروده في سياق خبر أو قصة، فأورده وأورد ما قاله الذهبيّ أو المحقّقون فيه.

ب ـ قد أُبقي على ما صدَّره الذّهبيّ بصيغة: قيل، ورُوِيَ وغير ذلك من ألفاظ التّضعيف.

وما سكت عنه الذّهبي والمحققون ولم تظهر صحّته ـ وهو جملة لا بأس بها ـ فإنّي أتخيّر منه وأورده.

(٨) وأمّا الترجمة نفسها فقد اقتصرت فيها على اسم المترجَمِ له واسمِ أبيه وجدّه، وما يفيد في معرفةِ نسبِه وبلدِه وصنعتِه، وأثبت سنتيْ ولادتِه ووفاتِه ـ إن وجدت ـ وحذفت الشهر واليوم. وأبقيت أقوى الأقوالِ في ذلك، وهذا حسَب ترجيحِ المؤلّفِ أو المحقّقِ أو واضعِ هذا المختصر.

(٩) ذكرت عند كلِّ ترجمةٍ في الهامش مكان وجودها في الأصل؛ جزءاً وصفحةً.

(١٠) وضعت أرقاماً تسلسليّة للتراجم.

(١١) رجعت إلى عدد من المصادر والمراجع التي احتجتها لعمل هذا التَّهذيب ـ وهي قليلة نسبيّاً ـ ولم أذكرها.

(١٢) وإتماماً للفائدة فقد قمت بعمل فهرسٍ للأعلام، وآخرَ للفوائد، وفهرس

الفوائد هذا سأشرح كيفيّةَ إيرادِه وطريقةَ استعمالِه آخرَ الكتاب ـ إن شاء الله ـ ويمكن اعتبارُ هذا الفهرسِ زبدةَ هذا التَّهذيب؛ فهو خلاصة ما في الكتاب من الفوائد مرتّبةً بطريقةٍ معيّنة، يستطيع بها مبتغي فائدةٍ ما الوصولَ إليها سريعاً، والحصولَ على حصر لمواضعها من الكتاب.

وبعد، فأرجو من قارىء هذا المختصر والمطّلع عليه أن يتجاوزَ عن تقصيري أو إخلالي بشرطٍ ممّا ذكرت، فهو جهد بشريٌّ عرضة للخلل والنّقص، ومن وجد فيه شيئاً مخِلّاً فلينبهني مشكوراً، جزاه الله خيراً.

محمد حسن عقيل موسى

نبذة عن الإمام محمد بن أحمدَ بنِ عثمانَ الذّهبيّ

قال تلميذه تاج الدّين عبدالوهّاب السبكيّ : ـ «شيخنا وأستاذنا الإمام الحافظ شمس الدّين أبو عبدالله التركمانيّ الذهبيّ محدّث العصر. . بَصَرٌ لا نظير له، وكنزٌ هو الملجـأ إذا نزلت المعضلة. إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنى ولفظاً، وشيخ الجـرحِ والتّعديل، ورجل الرّجال في كل سبيل، كأنّما جمعت الأمّة في صعيد واحد فنظرها ثمّ أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها.

مولده في سنة ثلاث وسبعين وستمائة. . وطلب الحديث وله ثماني عشرة سنة فسمع بدمشق. . وببعلبكَّ. . وبمصرَ. . والإسكندريّة. . وبمكّةَ. . وبحلب. . وبنابلس. . وفي شيوخه كثرة. . وسمع منه الجُمّ الغفير، وما زال يخدم هذا الفنَّ إلى أن رسخت فيه قدمُـه. . وأقـام بدمشق يرحل إليه من سائر البلاد. . صنّف التّـاريخ الكبير. . والتّـاريخ الأوسط المسمّى بالعبـر وهـو حسن جدّاً، والصّغير المسمّى: دول الإسـلام، وكتاب النّبلاء. . والميزان في الضعفاء وهو من أجلّ الكتب. . ومختصـر سنن البيهقي وهـو حسن. . وطبقـات الحفّـاظ، وطبقـات القرّاء. . ومختصرات كثيرة، وقرأ القرآن بالرّوايات وأقرأه. توفّي سنة ٧٤٨ وكان قد أضرّ قبل وفاته بمدّة يسيرة». (١)

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ٩/١٠٠-١٢٣.

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

١ - أبو عبيدةَ بنُ الجرّاح (م، ق)[1]

[١]عامرُ بنُ عبدالله بن الجرّاح القرشيُّ الفِهريُّ المكيُّ أحدُ السابقين الأولين ومَن عَزَمَ الصّدِّيقُ على توليته الخلافة وأشار به يوم السقيفة لكمال أهليّته عند أبي بكر. يجتمع في النسب هو والنبيّ ﷺ في فِهر. شهد له النبي ﷺ بالجنة، وسمَّاه أَمينَ الأُمة، ومناقبه شهيرة جمَّة.

[٢] روى أحاديث معدودة، وغزا غزوات مشهودة.

[٣]عن يزيد بن رومان قال: انطلق ابنُ مظعون، وعُبيدة بنُ الحارث وعبدُ الرحمن ابنُ عوفٍ، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأبو عبيدة بنُ الجرّاح حتى أَتوا رسول الله ﷺ فعـرَضَ عليهم الإسلام وأَنبأَهم بشرائعه فأسلموا في ساعة واحدة وذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

[٤]وقد شهد أبو عبيدة بدراً فقتل يومئذ أباه، وأبلى يوم أُحُدٍ بلاءً حسناً، ونزع يومئذ الحلقتين اللَّتين دخلتا من المِغْفَر في وَجْنَةِ رسول الله ﷺ من ضربة أَصابته فانقلعت ثَنِيَّتاه، فحسُن ثَغرُه بذهابهما حتى قيل: ما رؤي هَتْمٌ أحسنُ من هَتْمِ أبي عُبيدَة[1].

[٥]قال الزُّبيرُ بنُ بكَّار: قد انقرض نسلُ أَبي عبيدة وولَدُ إخوته جميعاً وكان ممن هاجر إلى أَرض الحبشة.

---

(١) انظر السير: ١/٥ ـ ٢٣

(٢) الهتم: كسر الثنايا من أصولها.

قلتُ: إن كان هاجر إليها فإنه لم يُطِل بها اللّبث.

[١]وكان أبو عبيدة معدوداً فيمن جمع القرآن العظيم.

[٢]قال موسى بن عُقْبة في (مغازيه): غزوة عمرو بن العاص هي غزوةُ ذاتِ السلاسل من مشارف الشام فخاف عمرو من جانبه ذلك فاستمد رسول الله ﷺ، فانتدب أبا بكر وعمر في سراة من المهاجرين فأمَّر نبيُّ الله عليهم أبا عبيدة فلما قدموا على عمرو بن العاص قال: أنا أميركم فقال المهاجرون: بل أنتَ أميرُ أصحابك وأميرُنا أبو عبيدة. فقال عمرو: إنما أنتم مَدَدٌ أُمددتُ بكم. فلما رأى ذلك أبو عُبيدَة بنُ الجراح وكان رجلاً حسَنَ الخُلُق، ليِّن الشِّيمَةِ، متّبعاً لأمر رسول الله ﷺ وعهده، فسلَّم الإمارة لعمرو.

[٣]وثبتَ من وجوهٍ عن أنس أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ لكُلِّ أُمَّةٍ أميناً وأمينُ هذه الأُمة أبو عُبيدة بنُ الجرّاح».

[٤]عن عمرو بن العاص قال: قيل يا رسول الله: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: عائشةُ. قيل: مِنَ الرِّجال؟ قال أبو بكر، قيل: ثمَّ من؟ قال: ثم أبو عبيدة بنُ الجراح.

[٥]وكان أبو عبيدة موصوفاً بِحُسن الخُلُق، وبالحِلم الزائد والتواضع.

[٦]قال عمر لجلسائه: تمنَّوا، فَتَمَنَّوا، فقال عمرُ: لكني أتمنّى بيتاً ممتلئاً رجالاً مثلَ أبي عُبَيدَة بن الجرّاح.

[٧]قال: خليفة بنُ خيَّاط: وقد كان أبو بكر وَلّى أبا عبيدة بيت المال.

قلتُ: يعني أموال المسلمين فلم يكن بَعدُ عُمِلَ بيتُ مال، فأول من اتخذه عمر.

[٨]وقال ابن المبارك في (الجهاد) له: عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: بلغ عمرَ أنَّ أبا عبيدة حُصِرَ بالشام ونال منه العدوُّ فكتب إليه عمر: أمّا بعد، فإنه ما نزل بعبد مؤمنٍ شدة، إلا جعل الله بعدَها فرجاً، وإنه لا يَغلبُ عُسرٌ يُسرين

﴿يا أيها الذين آمنوا اصبِرُوا وصَابِروا ورَابِطُوا﴾ الآية [آل عمران ٢٠٠].

قال: فكتب إليه أبو عبيدة: أمّا بعد، فإن الله يقول: ﴿أَنَّما الحَيَاةُ الدُّنيا لعِبٌ وَلَهوٌ﴾ إلى قوله ﴿مَتَاعُ الغُرور﴾ [الحديد ٢٠] قال: فخرج عمرُ بكتابه، فقرأه على المنبر فقال: يا أهلَ المدينة إنما يُعرِّض بكم أبو عبيدة أو بي ارغبوا في الجهاد.

[١] وقال ثابت البُناني: قال أبو عبيدة: يا أيها الناس! إني امرؤ من قريش، وما منكم من أحمر ولا أسودَ يَفضُلني بتقوى، إلا وَدِدْتُ أني في مِسلاخه.

[٢] عن قتادة، قال أبو عبيدة بن الجراح، وَدِدْتُ أني كنت كَبشاً، فيذبحني أهلي، فيأكلون لحمي، ويَحْسون مَرَقي.

[٣] عن طارق، أنّ عمر كتب إلى أبي عبيدة في الطاعون: إنه قد عَرَضت لي حاجة، ولا غنى بي عنك فيها، فعجِّل إليّ، فلمَّا قرأ الكتاب، قال: عرفتُ حاجة أمير المؤمنين إنه يريد أن يستَبقيَ من ليس بباقٍ، فكتبَ: إني قد عرفتُ حاجتك، فحلِّلني مِن عزيمتك، فإني في جندٍ من أجناد المسلمين، لا أرغبُ بنفسي عنهم، فلما قرأ عمر الكتاب، بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة؟ قال: لا. وكَأن قد.

قال فتوفي أبو عبيدة، وانكشف الطاعون.

[٤] وقد استعمل النبي ﷺ أبا عُبيدة غير مرة، منها المرة التي جاع فيها عسكره، وكانوا ثلاث مئة، فألقى لهم البحر الحوت الذي يقال له العَنْبَرُ، فقال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا، نحن رسل رسول الله، وفي سبيل الله، فكلوا، وذكر الحديث، وهو في «الصحيحين».

[٥] ولما تفرّغ الصدّيق من حرب أهل الردّة، وحرب مُسيلمة الكذاب جهّز أمراء الأجناد لفتح الشام. فبعث أبا عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشُرَحْبيل بن حسنة، فتمت وقعة أجنادين بقرب الرملة، ونصر الله المؤمنين، فجاءت البشرى، والصِّدِّيقُ في مرضِ الموت، ثم كانت وقعة فِحْل، ووقعة مرج الصُفَّر، وكان قد سيّر أبو بكر خالداً لغزو العِراق، ثم بعث إليه ليُنجِدَ مَن بالشام،

فقطع المفاوز على برية السماوة، فأمَّره الصديقُ على الأمراء كلهم، وحاصروا دمشقَ، وتُوفي أبو بكر. فبادر عمرُ بعزل خالد، واستعمل على الكلِّ أبا عبيدة، فجاءه التقليد، فكتمه مدة، وكل هذا من دينه ولينه وحلمه، فكان فتح دمشق على يده، فعند ذلك أظهر التقليد، لِيعقدَ الصُّلح للروم، ففتحوا له باب الجابية صلحاً، وإذا بخالد قد افتتح البلد عَنوَةً من الباب الشرقي، فأمضى لهم أبو عبيدة الصلح.

فعن المغيرة: أنَّ أبا عبيدة صالحهم علىٰ أنصافِ كنائسهم ومنازلهم، ثم كان أبو عبيدة رأس الإسلام يومَ وقعةِ اليرموك، التي استأصل الله فيها جيوش الروم، وقُتِلَ منهم خلقٌ عظيم.

[١]تُوفي أبو عبيدة في سنة ثمان عشرة، وله ثمان وخمسون سنة.

٢ ـ طلحة بن عُبيد الله (ع)[1]

[٢]ابن عثمان القُرشي التَّيمي المكي، أبو محمد.

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

قلتُ: كان ممن سبق إلى الإسلام، وأوذي في الله، ثم هاجر، فاتفق أنه غاب عن وقعة بدر في تجارة له بالشام، وتألم لغيبته، فضرب له رسولُ الله ﷺ بسهمه وأجره.

[٣]وفي جامع أبي عيسى بإسناد حسن، أن رسول الله ﷺ قال يوم أُحد: «أوجب طَلحةُ».

[٤]قال ابن أبي خالد عن قيس قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ يوم أحد شلاّء. عن جابر قال: لما كان يوم أحد، وولَّىٰ الناسُ، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً، منهم طلحة، فأدركهم المشركون، فقال النبي ﷺ: من لِلْقَومِ؟ قال طَلحةُ: أنا، قال: كما أنت. فقال رجل: أنا. قال: أنت، فقاتل حتى

(١) انظر السير: ١/٢٣ـ ٤٠

قُتل، ثم التفت فإذا المشركون، فقال: مَن لهم؟ قال طلحة: أنا. قال: كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: أنتَ. فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله طلحة، فقال: مَن للقوم؟ قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة، قِتال الأحد عشر، حتى قُطعت أصابعُه فقال: حَسٍّ[1]، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون» ثم ردّ الله المشركين.

[١]وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ كان على حراء هو، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير فتحركت الصخرة، فقال رسول الله «اهدأ فما عَليكَ إلاّ نَبيٌّ أو صِدِّيق أو شهيدٌ».

[٢]عن طلحة بن يحيى، حدثتني جدتي سُعدى بنت عوف المرية قالت: دخلتُ على طلحة يوماً وهو خاثر[2]، فقلتُ: مالك؟ لعل رابك من أهلك شيءٌ؟ قال: لا والله، ونِعم حَليلةُ المسلم أنتِ، ولكن مالٌ عندي قد غَمَّني فقلتُ: ما يَغُمُّك؟ عليك بقومك، قال: يا غلام! ادعُ لي قومي، فقسَّمه فيهم، فسألتُ الخازن: كم أعطى؟ قال: أربع مئة ألف.

[٣]علقمة بن وقّاص الليثي، قال: لما خرج طلحة، والزبيرُ وعائشة للطلب بدم عثمان، عرَّجوا عن منصرفهم بذات عِرْق، فاستصغروا عُروة بن الزبير، وأبا بكر بن عبدالرحمن فردُّوهما، قال: ورأيت طلحة، وأحبُّ المجالس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زَوْره، فقلت: يا أبا محمد! إني أراك وأحبُّ المجالس إليك أخلاها، إن كنت تكره هذا الأمر فدعه، فقال: يا علقمة! لا تلمني، كنا أمسِ يداً واحدة على مَن سوانا، فأصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحف أحدنا إلى صاحبه، ولكنه كان مني شيءٌ في أمر عثمان، مما لا أرى كفَّارته إلا سَفْكَ دمي، وطَلبَ دَمِه.

قلتُ: الذي كان منه في حق عثمان تَمغْفلٌ وتأليبٌ، فَعَلَه باجتهاد، ثم تغيّر عندما شاهد مصرع عثمان، فندم على ترك نُصرته رضي الله عنهما، وكان طلحةُ

(١) كلمة تقال عند الألم.

(٢) أي: غير نشيط.

أولَ من بايع عليًّا، أرهقه قَتَلَةُ عثمان، وأحضروه حتى بايع.

[١] عن قيس قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم، فوقع في ركبته، فما زال يَنسحُّ حتى مات.

قلت: قاتل طلحة في الوزر بمنزلة قاتلِ عليٍّ.

[٢] عن جابر أنه سمع عمر يقول لطلحة: مالي أراك شَعِثْتَ واغْبَرَرْتَ مُذ تُوفِّي رسولُ الله ﷺ؟ لعله أنَّ ما بك إمارة ابن عمك، يعني أبا بكر، قال: معاذ الله، إني سمعته يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل يحضرهُ الموت، إلا وجد رُوحه لها رَوحاً حين تخرج من جسده، وكانت له نوراً يوم القيامة). فلم أسأل رسول الله ﷺ عنها، ولم يخبرني بها فذاك الذي دخلني. قال عمر: فأنا أعلمها قال: فللَّه الحمد، فما هي؟ قال: الكلمة التي قالها لعمه، قال صدقت[1].

[٣] وكان قتله في سنة ستٍّ وثلاثين وهو ابن ثنتين وستين سنة أو نحوها، وقبره بظاهر البصرة. ولطلحة أولادٌ نجباءُ، أفضلهم محمَّد السَّجَّاد، كان شاباً، خيراً، عابداً، قانتاً لله. وُلد في حياة النبي، ﷺ، قتل يوم الجمل أيضاً، فحزن عليه عليٌّ وقال: صَرَعَهُ بِرُّهُ بأبيهِ.

٣ الزُّبير بن العَوَّام (ع)[2]

[٤] ابن خُويلد حواريُّ رسول الله، ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبدالمطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهلِ الشورى، وأول من سلّ سيفه في سبيل الله، أبو عبدالله رضي الله عنه، أسلم وهو حدث له ست عشرة سنة.

عن موسى بن طلحة قال: كان عليٌّ، والزبيرُ، وطلحةُ، وسعدٌ، عِذار عام واحد، يعني ولدوا في سنة.

---

(١) الكلمة هي: لا إله إلا الله.

(٢) انظر السير: ١/ ٤١ - ٦٧

[١] قال عروةُ: جاء الزبير بسيفه، فقال النبيُّ ﷺ مَالَكَ؟ قال: أُخبرتُ أَنَّك أُخِذت، قال: فكنتَ صانعاً ماذا؟ قال: كنتُ أَضرِبُ بِهِ مَن أَخَذَكَ. فدَعا لَهُ ولِسَيفِهِ.

[٢] وروى هشام عن أبيه عروة، أن الزبير كان طويلاً تخُطُّ رجلاه الأرض إذا ركب الدابة، أشعرَ، وكانت أُمه صفيّة تضربه ضرباً شديداً وهو يتيم، فقيل لها قَتَلْتِه، أهلكته، قالت:

إنما أضرِبُه لِكَي يَدِبّ ... ويَجُرَّ الجَيشَ ذا الجَلَبْ

قال: وكسر يد غلام ذات يوم، فجيء بالغلام إلى صفية، فقيل لها ذلك، فقالت:

كَيْفَ وَجَدت وَبراً ... أَأَقِطاً[1] أم نَمْراً

أم مُشمَعِلاً[2] صَقرَا

[٣] وقال هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كانت على الزبير يوم بدرٍ عمامةٌ صَفراءُ، فنزل جبريلُ على سيماءِ الزبير.

وفيه يقول عامر بن صالح بن عبدالله بن الزبير:

جَدِّي ابنُ عَمَّةِ أَحمَدٍ وَوَزِيرُه ... عِندَ البَلاءِ وفَارِسُ الشَّقراءِ

وغَداة بدرٍ كَانَ أَوّلَ فَارِسٍ ... شَهِدَ الوغى في اللامَةِ الصَّفراءِ

نَزَلَتْ بِسيماهُ المَلائِكُ نُصرَةً ... بالحَوضِ يَوْمَ تَأَلُّبِ الأعداءِ

[٤] وهو ممن هاجر إلى الحبشة ولم يطل الإقامة بها.

[٥] وقال جابر: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: مَن يأتينا بخبرِ بَني قريظة؟ فقال الزبير: أنا، فذهبَ على فرسٍ، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ «لِكُلِّ نَبيٍّ حَواريٌّ وحَواريَّ الزبير».

---

(١) الأقط: بفتح الهمزة وكسر القاف، وقد تسكن: قال الأزهري: ما يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل.

(٢) المشمعل: السريع، يكون في الناس والإبل.

[١]وعن الثوري قال: هؤلاء الثلاثةُ نجدةُ الصحابة: حمزة، وعليٌّ، والزبير. عن عروة قال: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف: إحداهن في عاتقه، إن كنتُ لأُدخلُ أصابعي فيها، ضُرِب ثنتين يوم بدر، وواحدةً يوم اليرموك.

[٢]عن مروان، قال: أصاب عثمان رُعافٌ سنةَ الرُّعاف، حتى تخلّفَ عن الحجّ وأوصى، فدخل عليه رجلٌ من قريش، فقال: استخلف، قال: وقالوه؟ قال: نعم قال: من هو؟ فسكت، قال: ثم دخل عليه رجلٌ آخر، فقال له مثل ذلك، وردّ عليه نحو ذلك. قال: فقال عثمان: قالوا الزبيرُ؟ قالوا نعم. قال: أما والذي نفسي بيده، إن كان لأخيَرَهم ما علمتُ، وأحبَّهُم إلى رسول الله ﷺ.

[٣]عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: انصرف الزبير يوم الجمل عن عليّ، فلقيه ابنه عبدالله، فقال: جُبناً، جُبناً! قال: قد علم الناس أني لست بجبان، ولكن ذكّرني عليٌّ شيئاً سمعته من رسول الله، ﷺ، فحلفت أن لا أقاتله، ثم قال:

تَركُ الأُمُور التي أخشى عَواقِبَها في الله أحسَنُ في الدُّنيا وفي الدين

وقيل إنه أنشد:

ولقد علمتُ لو أن علمي نافعي أنَّ الحياةَ من المماتِ قَريبُ

فلم ينشب أن قتله ابن جُرموز.

عن جون بن قتادة قال: كنت مع الزبير يوم الجمل، وكانوا يُسلِّمون عليه بالإمرة، إلى أن قال: فطعنه ابن جرموز فأثبته، فوقع، ودُفِن بوادي السباع، وجلس عليٌّ، رضي الله عنه، يبكي عليه هو وأصحابه.

عن أبي نَضرة قال: جيء برأس الزُّبير إلى عليّ فقال عليّ: تبوّأ يا أعرابيُّ مقعدك من النار، حدثني رسول الله ﷺ أنَّ قاتِلَ الزُّبير في النَّار.

[٤]هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير قال: لقيت يوم بدر عُبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مُدجَّجٌ لا يُرى إلا عيناه، وكان يكنى أبا ذاتِ الكَرِش، فحملتُ عليه

بالعَنَزَةِ، فطعنتـه في عينه، فمات، فأُخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه، ثم تمطيت، فكان الجهدَ أن نزعتُها، يعني الحربة، فلقد انثنى طرفها.

قُتل سنة ستٍّ وثلاثين وله بضع وخمسون سنة.

[١] قال ابن المَديني: سمعتُ سفيان يقول: جاء ابن جُرموز إلى مُصعب بن الزبير يعني لمَّا وَلِيَ إمرة العراق لأخيه الخليفة عبدالله بن الزبير فقال: أَقِدْني بالزبير، فكتب في ذلك يُشاور ابن الزبير، فجاءه الخبر: أنا أَقتل ابن جرموز بالزُّبَير؟ ولا بِشِسع نعله.

قلتُ: أكـل المُعثَّـر يديه ندمـاً على قتله، واستغفر، لا كقاتل طلحةَ، وقاتل عثمان، وقاتل علي.

٤ ـ عبدالرحمن بن عوف (ع)[1]

[٢] **أحدُ العشرة، وأحد الستَّة أهل الشورى، وأحد السابقين البدريين، القرشيُّ الزهريُّ. وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام.**

وكان اسمه في الجاهلية عبدعمرو، وقيل عبدالكعبة، فسمَّاه النبي ﷺ عبدالرحمن.

[٣]عن ابن عباس قال: جلسنا مع عمر، فقال: **هل** سمعت عن رسول الله ﷺ شيئاً أَمَر به المرءَ المسلم إذا سها في صلاته، كيف يصنع؟ فقلت: لا والله، أَوَ سمعتَ أنتَ يا أمير المؤمنين من رسول الله في ذلك شيئاً؟ فقال: لا والله. فبينا نحن في ذلك أتى عبدالرحمن بنُ عوف فقال: فيمَ أنتما؟ فقال عمر: سألتُه، فأخبره. فقال له عبدالرحمن: لكني قد سمعتُ رسول الله ﷺ يأمر في ذلك. فقال له عمر: فأنت عندنا عدلٌ فماذا سمعت؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «إذا سها أحدُكم في صلاته حتى لا يدري أزادَ أم نقص، فإن كان شكّ في الواحدة والثنتين، فليجعلها

(١) انظر السير: ١/٦٨ـ٩٢

واحدة، وإذا شكّ في الثنتين أو الثلاث، فليجعلها ثنتين، وإذا شك في الثلاث والأربع، فليجعلها ثلاثاً حتى يكونَ الوهمُ في الزيادة، ثم يسجد سجدتين، وهو جالس، قبل أن يسلِّم، ثم يسلِّم».

[١]فأصحاب رسول الله ﷺ وإن كانوا عدولاً فبعضهم أعدل من بعض وأثبت فهنا عمرُ قنع بخبر عبدالرحمن، وفي قصة الاستئذان يقول: ائت بمن يشهد معك، وعليٌّ بن أبي طالب يقول: كان إذا حدثني رجل عن رسول الله ﷺ، استحلفُته، وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر. فلم يَحْتَجْ عليٌّ أن يستحلف الصديق، والله أعلم.

[٢]قال المدائني: وُلد عبدالرحمن بعد عام الفيل بعشر سنين.

عن ابن اسحاق قال: كان ساقطَ الثنتين، أهتَم، أعسرَ، أعرجَ، كان أُصيبَ يوم أُحد فهُتِمَ، وجُرح عشرين جراحة، بعضها في رجله، فعرج.

قال عثمان: ما يستطيع أحدٌ أن يعتدَّ على هذا الشيخ فضلاً في الهجرتين جميعاً.

[٣]ومن مناقبه أنَّ النبي ﷺ، شهد له بالجنة، وأنه من أهل بدر، ومن أهل هذه الآية ﴿لقد رَضِيَ اللهُ عنِ المؤمنينَ، إذ يُبايعونَكَ تَحتَ الشَّجرة﴾ [الفتح ١٨] وقد صلَّى رسولُ الله ﷺ وراءه.

[٤]عن عمرو بن وهب الثقفي قال: كنا مع المغيرة بن شعبة، فَسُئلَ: هل أَمَّ النبيَّ ﷺ أحدٌ من هذه الأمة غيرُ أبي بكر؟ فقال: نعم. فذكر أن النبي ﷺ، توضأ، ومَسَحَ على خُفيَّهِ وعمامته، وأنه صلَّى خلفَ عبدالرحمن بن عوف، وأنَا معه، رَكعَةً من الصبح، وقضينا الركعة التي سُبقنا.

[٥]عن قتادة: ﴿الذين يَلمِزُون المُطَّوِّعين﴾ [التوبة ٧٩] قال: تصدَّق عبدُ الرحمن بن عوف بشطر ماله أربعة آلاف دينار. فقال أناسٌ من المنافقين: إن عبدالرحمن لعظيم الرياء.